الاموال فاما المسامحة في الاحوال فهو اطراح المنازعة في الرتب وترك
المنافسة في التقدم فان مساحة النفوس فيها اعظم والعناد عليها
اكثر فان سامح فيها ولم ينافس كان مع اخذه بافضل الاخلاق واستعماله
لاحسن الاداب اوقع في النفوس من افضاله برغايب الاموال ثم هو ازيد في
مرتبته وابلغ في تقدمه وان شاح فيها ونازع كان مع ارتكابه لاخشن
الاخلاق واستعماله لاخشن الاداب انكا في النفوس من حد السيف وحز
السنان ثم هو احفظ للمرتبة وامنع من التقدم حكي ان فتى من بني هاشم
تخطى رقاب الناس عند ابن ابي داود فقال له يا بني ان الادب ميراث الاشراف
ولست ارى عندك من اسلافك ارثا واما المسامحة في الاموال فتتنوع
ثلاثة انواع مسامحة اسقاط لعدم ومسامحة تخفيف لعجز ومسامحة
انظار لعسرة وهي مع اختلاف اسبابها تفضل ماثور وتالف مشكور واذا
كان الكريم قد يجود بما تحويه يده وينفذ فيه تصرفه كان اولى ان يجود بما
خرج عن يده وطاب نفسا بفراقه وقد تتصل المسامحة في الحقوق الى من لا
يقبل البر ويابى الصلة فيكون احسن موقعا وازكى محلا وربما كانت المسامحة
فيها الام من رد السائل ومنع المجتدي لان السائل كما اجترى على سوالك
فستجتري ان رددته على سوال غيرك وليس كل من صار اسير حقك ورهين
دينك تجد بدا من مسامحتك ومباشرتك ثم لك مع ذلك حسن الشكر وجزيل
الاجر قال محمود الوراق

المرء بعد الموت احدوثة ... يفنى ويبقى منه اثاره
فاحسن الحالات حال امرئ ... تطيب بعد الموت اخباره

فهذه حال المباشرة واما الافضال فنوعان افضال اصطناع وافضال
استكفاف ودفاع اما افضال الاصطناع فنوعان احدهما ما اسداه جودا في
شكور والثاني ما يالف به نبوة نفور وكلاهما من شروط المروة لما فيهما

من ظهور الاصطناع وتكاثر الاشياع والاتباع ومن قلت صنايعه
في الشاكرين واعرض عن تالف النافرين كان فردا مهجورا وتابعا
محقورا ولا مروة لمتروك مطرح ولا قدر لمحقور ممتهن وقال عمر بن
عبد العزيز ما طاوعني الناس على شي اردته من الحقوق حتى بسطت لهم
طرفا من الدنيا وقال بعض الحكما احق ما يجب للمنعم بحق نعمته ان لا يتوصل
بها الى معصية وانشد بعض الاعراب من جمع المال ولم يجد له

وجمع المال لعام جدبه ... هان على الناس هوان كلبه

وقال اسحق بن ابرهيم الموصلي

يبقى الثنا وتذهب الاموال ... ولكل دهر دولة ورجال
ما نال محمدة الرجال وشكرهم ... الا الجواد بماله المفضال
لا ترض من رجل حلاوة قوله ... حتى يصدق ما يقول فعال

فان ضاق به الحال عن الاصطناع بماله فقد عدم من آلة المكارم عمادها
وفقد من شروط الرياسة اشدها فليواس بنفسه مواساة المساعف
ويسعد بها اسعاد المتالف كما قال المتنبي فليسعد النطق ان لم يسعد الحال
وان كان لا يراها وان جهدها الا نفعا للمفضلين قليلة بين المكثرين فان
الناس لا يساوون بين المانع والمعطي ولا يقنعهم القول دون الفعل ولا
يغنيهم الكلام عن المال ويرونه كالصدى ان رد صوتا لم يجد نفعا
كما قال الشاعر يجود بالوعد ولكنه ... يدهن من قارورة فارغه
فكلما خرج عندهم عن المال كان فارغا وكلما عد الافضال به كان هنيا
وقد قدمنا القول في شروط الافضال ما اقنع واما الافضال
للاستكفاف فلان ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمه ومعاند فضيلة يعتريه الجهل
باظهار عناده وتبعثه اللوم على البذا بسفهه فان غفل عن استكفاف
السفها واعرض عن استدفاع اهل البذا صار عرضه هدفا للمثالب

Copyright © King Saud University